مجلـــــــــــة

آداب الرافدين

علميّـــــة محكّمـــــة

فصليـــّـــة

تصـــدر عن كليـــة الآداب

العـــدد: الثاني والسبعون

السنة: الثامنة والأَربعون

الموصـــــــل

١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م

الهيئة الاستشارية

- أ.د. وفاء عبد اللطيف عبد العالي – جامعة الموصل/ العراق (اللغة الإنكليزية)
- أ.د. جمعة حسين محمد البياتي – جامعة كركوك / العراق (اللغة العربية)
- أ.د. قيس حاتم هاني الجنابي – جامعة بابل/ العراق (تاريخ وحضارة)
- أ.د.حميد غافل الهاشمي – الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية/ لندن (علم الاجتماع)
- أ.د. رحاب فائز أحمد سيد – جامعة بني سويف / مصر (المعلومات والمكتبات)
- أ. خالد سالم إسماعيل – جامعة الموصل/ العراق (لغات عراقية قديمة)
- أ.م.د. علاء الدين احمد الغرايبة – جامعة الزيتونة/ الأردن (اللسانيات)
- أ.م.د. مصطفى علي دويدار – جامعة طيبة/ السعودية (التاريخ الإسلامي)
- أ.م.د. رقية بنت عبد الله بو سنان – جامعة الأمير عبدالقادر/ الجزائر (علوم الإعلام)

الأفكار الواردة في المجلة جميعاً تعبِّر عن آراء كاتبيها، ولا تعبِّر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة

توجه المراسلات باسم رئيس هيئة التحرير

كلية الآداب / جامعة الموصل – جمهورية العراق

E-mail: adabarafidayn@gmail.com

آداب الرافدين

مجلة محكّمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثّقة في الآداب والعلوم الإنسانية باللغة العربية واللغات الأجنبيَّة

العدد: الثاني والسبعون — السنة: الثامنة والأربعون

رئيس التحـــرير

أ.د. شفيق إبراهيم صالح الجبوري

سكرتير التحرير

أ.م.د.بشار أكرم جميل

هيئة التحرير

أ.د.محمود صالح إسماعيل	أ.د.عبد الرحمن أحمد عبدالرحمن
أ.د.مؤيد عباس عبد الحسن	أ.د.علي أحمد خضر المعـــماري
أ.م.د.سلطان جبر سلطان	أ.م.د. أحمد إبراهيم خضر اللهيبي
أ.م.د. زياد كمال مصطفى	أ.م. قتيبة شهاب احمد

المتابعة والتقويم اللغوي

م.د.شيبان أديب رمضان الشيباني	– مدير متابعة هيئة التحرير
أ.م.أسامة حميد إبراهيم	– مقوّم لغوي/ لغة الإنكليزية
م.د. خالد حازم عيدان	– مقوّم لغوي/ لغة عربية
م. مترجم.إيمان جرجيس أَميـــــن	– إدارة المتابعـــــــة
م. مترجم.نجلاء أَحمد حســـين	– إدارة المتابعـــــــة
م.مبرمج. أحمد إحسان عبدالغني	– مسؤول النشر الإلكتروني

قواعد النشر في المجلة

- يقدم البحث مطبوعاً بدقة، ويكتب عنوانه واسم كاتبه مقروناً بلقبه العلمي للانتفاع باللقب في الترتيب الداخلي لعدد النشر.
- تكون الطباعة القياسية بحسب المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦/ المتن: بحرف ١٤/ الهوامش: بحرف ١٢)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطراً تحت سطر ترويس الصفحة بالعنوان واسم الكاتب واسم المجلة، ورقم العدد وسنة النشر، وحين يزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأشياء المشار إليها، تتقاضي هيئة التحرير مبلغ (٢٠٠٠) دينار عن كل صفحة زائدة فوق العددين المذكورين، فضلاً عن الرسوم المدفوعة عند تسليم البحث للنشر والحصول على ورقة القبول؛ لتغطية نفقات الخبرات العلمية والتحكيم والطباعة والإصدار .
- ترتب الهوامش أرقاماً لكل صفحة، ويعرّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة، ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول .
- يقدم الباحث تعهداً عند تقديم البحث يتضمن الإقرار بأنَّ البحث ليس مأخوذاً (كلاً أو بعضاً) بطريقة غير أصولية وغير موثقة من الرسائل والأطاريح الجامعية والدوريات، أو من المنشور المشاع على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت).
- يحال البحث إلى خبيرين يرشحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويحال – إن اختلف الخبيران – إلى (محكم) للفحص الأخير وترجيح جهة القبول أو الرد.
- لا ترد البحوث إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر .
- يتعين على الباحث إعادة البحث مصححاً على هدي آراء الخبراء في مدة أقصاها (شهر واحد)، ويسقط حقه بأسبقية النشر بعد ذلك نتيجة للتأخير، ويكون تقديم البحث بصورته الأخيرة في نسخة ورقية وقرص مكتنز (CD) مصححاً تصحيحاً لغوياً وطباعياً متقناً، وتقع على الباحث مسؤولية ما يكون في بحثه من الأخطاء خلاف ذلك، وستخضع هيئة التحرير نسخ البحوث في كل عدد لقراءة لغوية شاملة أخرى، يقوم بها خبراء لغويون مختصون زيادة في الحيطة والحذر من الأغاليط والتصحيفات والتحريفات، مع تدقيق الملخصين المقدمين من جهة الباحث باللغة العربية أو بإحدى اللغات الأجنبية، وترجمة ما يلزم الترجمة من ذلك عند الضرورة.

((هيئة التحرير))

المحتويـــــــــات

العنـوان	الصفحة
الإعجاز البلاغي في القصة القرآنية قصة قارون مثالاً أ.م.د. عبد الستار فاضل خضر	١ - ١٨
الحداثة وتجليات سلطة القراءة للنص القرآني أ.م.د. فارس عبدالله بدر الرحاوي	١٩ - ٤٦
الملامح الصوتية عند سيد قطب دراسة تحليلية أ.م.د.فيصل مرعي الطائي	٤٧ - ٦٨
صورة الممدوح في شعر مسلم بن الوليد المعروف (بصريع الغواني) أ.د.غانم سعيد حسن الطائي و م.د. علي غانم سعدالله	٦٩ - ٨٤
الفروق الدلالية بين المتفق خطاً والمختلف لفظاً ومعنىً من المقصور والممدود والمقصور والمهموز أ.م.د. أحمد ابراهيم خضر و م.د.إيناس وليد أسعد	٨٥ - ١٠٤
بعض الظواهر الصوتية وأثرها في تحديد أحرف الجذور اللغوية المعتلة مقاييس اللغة لابن فارس أنموذجًا أ.م.د. عزّة عدنان أحمد عزّت و الباحثة غيداء عادل عبد القادر	١٠٥ - ١٣٠
سيرة محمد بن مصطفى التِّيره وي وكتابه : (روح الشروح) مع تحقيق قطعة من مقدِّمته أ.م.د. معن يحيى محمد العبادي و م.د.شيبان أديب رمضان الشيباني	١٣١ - ١٥٦
المساءلة الحجاجية في الشعر العربي نماذج مختارة م.د. عبدالله بيرم يونس	١٥٧ - ١٨٢
مما صحّحه القاسم بن علي الحريري (٥١٦هـ) من مسائل دلالية في كتابه (درة الغواص في اوهام الخواص) م.د.أ حمد مرعي حسن العباس	١٨٣-٢٠٨
الفُروق التعبيرية في الحوار بين الرُسُل وأقوامِهِم في القرآن الكريم - سورة الأعراف أنموذجاً – م.د. أحمد عامر سلطان الدليمي	٢٠٩-٢٣٢
أثر الصوت اللغوي في التواصل دراسة في يائية مالك بن الريب م.د.إدريس سليمان مصطفى و م.د. مسعود سليمان مصطفى	٢٣٣-٢٥٨
البعد الدلالي للبناء للمعلوم والبناء للمجهول في القراءات القرآنية - سورة الأَنعام نموذجًا م.م. هلات حسن جرجيس	٢٥٩-٢٩٨
الاصلاحات الاقتصادية في دولة المغول الايلخانية في بلاد ايران والعراق على عهد السلطان محمود غازان (٦٩٤-٧٠٣هـ/ ١٢٩٤-١٣٠٣م) م.د. مصطفى هاشم عبد العزيز الحنون	٢٩٩-٣٢٠

سرايا وبعوث الرسول][rفي كتاب سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد لمحمد بن يوسف الشامي المتوفى ٩٤٢هـ/ ١٥٣٦م دراسة في مصادره م.د. هناء سالم ضايع	٣٢١ - ٣٤٠
المرابطون والموحدون دراسة في عناصر الوحدة والتنوع الاداري والاقتصادي م.د سالمة محمود محمد عبد القادر	٣٤١ - ٣٧٦
عطاء النساء في عصر الراشدين – قراءة تاريخية تحليلية- م.م. محمد نجمان ياسين عباس	٣٧٧ - ٣٩٤
ثقافة حقوق الإنسان في ظل الظروف العربية الراهنة الواقع والطموح ا.م.د حمدان رمضان محمد و م.د محمد سعيد حسين	٣٩٥- ٤٣٨
الصناعات الصغيرة والمتوسطة ودورها في الحد من البطالة دراسة اجتماعية تحليلية م.د.هاني احمد العبادي	٤٣٩ – 458
الانعكاسات الاقتصادية للترفيه على الأسرة الموصلية دراسة ميدانية في مدينة الموصل م. أميرة وحيد خطاب	٤٥٩ – ٤٨٦
الرسائل الجامعية الممنوحة في الجامعات العراقية في مجال المعلومات والمكتبات: دراسة ببليومترية ١٩٨٨-٢٠١٢ أ.م.سعد احمد إسماعيل و م.م.حسام عبدالكريم عبدالله البدراني	٤٨٧ – ٥١٢
متاجر الكتب العربية على الانترنت نشأتها، محتوياتها، خدماتها، امن معلوماتها أ.م. سمية يونس سعيد الخفاف و م.باحث عبد القادر احمد علي	٥١٣ – ٥٥٤
تجربة الفهرس العربي الموحد في المكتبة المركزية لجامعة الموصل م. رفل نزار الخيرو و م.م. رواء صلاح الدين زيادة	٥٥٥ – ٥٨٤
تحليل الاستشهادات المرجعية لرسائل الماجستير لقسم الإحصاء في جامعة الموصل للعام (١٩٨٨-٢٠٠٩) م. وسن سامي سعدالله	٥٨٥ – ٦١٦
الحوسبة السحابية ومدى أهميتها للمكتبات ومراكز المعلومات م.م. نور فارس العمري و م.م. عمر توفيق عبد القادر	٦١٧ – ٦٤٨
المظلات الملكية الآشورية في ضوء المشاهد النحتية م.م. ليال خليل إسماعيل	٦٤٩ – ٦٦٦
مفهوم البيئة في المجتمعات المدنية على ضوء الفقه الإسلامي دراسة تحليلية أ.م.د. ميكائيل رشيد علي الزيباري	٦٦٧ – ٦٩٤

الإعجاز البلاغي في القصة القرآنية
قصة قارون مثالاً

أ.م.د. عبد الستار فاضل خضر*

تأريخ التقديم: ٢٠١١/٣/٤ تأريخ القبول: ٢٠١١/٥/٥

- مدخل :

ورد ذكر قارون في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع ، موضعين على سبيل الإجمال والإدماج في قصة موسى مع فرعون وهامان وذلك في سورتي العنكبوت وغافر ، وموضع على سبيل التفصيل ، إذ عرضت بشكل مستقل ختمت بها سورة القصص وهو موضوع البحث . ولما كانت سورة القصص قد عرضت قصة موسى عرضاً مفصلاً لتسلية النبي ، ولانتفاع المؤمنين وتثبيتهم على مقارعة المشركين ، وليعتبر المشركون ببيان مصير الظلم والتكبر والاستعلاء على قبول الحق ، وطريق الهداية ، بما ضربه الله تعالى لهم من المثل بقصة الطغيان بالحكم والسلطان ممثلة بقصة فرعون ، وبما آل إليه من البوار بالإغراق بسبب البغي والظلم ، أردفت ذلك في نهايتها بقصة الاستعلاء والطغيان بالثروة والمال ، ممثلة بقصة قارون ، وكيف يؤول إلى البوار بسبب البغي والبطر والاستكبار على الخلق وجحود الخالق ، لتقرير حقيقة القيم ، بترخيص قيمة المال والزينة إلى جانب قيمة الإيمان والصلاح .

وهذا التناسق المعنوي بيان افتتاح سورة القصص بقصة موسى، وبين اختتامها بقصة قارون تناسق ملحوظ – ولاسيما ان قارون هو من قوم موسى – يهدف إلى تحقيق أهداف السورة ومقاصدها العليا ، بسد ذرائع الهوى ودواخله من جهتي نوازع النفس إلى طلب التكبر والإفساد في الأرض سواء كان بالحكم والجاه والسلطان ، أو بالمال ، وأن كل ما يندرج دونهما من المفاسد داخل تحت هذين السبيلين المؤديين إلى الهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة ، فمن أراد سعادة الدارين عليه أن يحذر هذين المسلكين ، وأنهما مما يقتضي التحري عن مصير مقترفهما ؛ لذلك استهلت القصتان بأسلوب واحد

* قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ جامعة الموصل .

وهو أسلوب الخبر المؤكد بإنزال المخاطبين منزلة المنكرين على خلاف مقتضى الظاهر ، وذلك للاهتمام بمضمون القصتين وإلفات المخاطبين إلى خطورتهما ، وضرورة الاطلاع على تفاصيلهما لتوقي هذين المسلكين .

المبحث الأول

بغيُ قارون على قومه ونصحهم له

قال تعالى : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [القصص/٧٦-٧٨] .

وأول ما يلحظ في هذه القصة أن الآية الأولى فيها حددت المعالم ، ووزعت الأدوار ، وبينت الشخصيات وموضوع الحوار ، ورسمت الأهداف ، وهذه من الخصائص الفنية في عرض القصة القرآنية ، إذ يقدم السرد القصصي الشخصيات الرئيسة ويحدد الأهداف ويرسم الخطوط العامة التي تسير عليها القصة . فقوله تعالى : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ ، صرح بالشخصية التي تدور حولها القصة وهي شخصية (قارون) ، وحدد قومه بأنهم قوم موسى ، وقرر مسلكه وهو مسلك البغي ، وأن حوار قومه له قائم على النصح ، ورسم هدف القصة وهو تقديم الشكر لله تعالى على فضله والاعتراف بمنته ، وأن الله يبتلي عباده بالخير ابتلاءه لهم بالشر ، وأنّ الاغترار بالمال يؤدي إلى الكفر وسوء العاقبة في الدنيا والآخرة .

ومن الملاحظ البلاغية فيها أن الخبر سيق مؤكداً في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ وذلك لإلفات الانتباه إلى أهمية مضمونه وخطورته ، من سوء عاقبة الاغترار بالمال وعدم الاكتراث بشكر النعمة ، استخفافاً بالدين وكفراً بشرائع الله تعالى ، وفيه إيماء إلى (التعجيب) من غرابة الخبر لصدوره من رجل كان من قوم

موسى ، فكان أمره أغرب من أمر فرعون ؛ لذلك عدل عن القول : إنه كان من بني إسرائيل لما في إضافة (قوم) إلى (موسى) من الإيماء إلى أن لقارون اتصالاً خاصاً بموسى وهو اتصال قرابة[١] . فقيل : إنه ابن عم موسى ، وقيل : عمه ، وكان أقرأ بني إسرائيل للتوراة ، ومن العباد المؤمنين ، ثم لحقه الزهو والإعجاب فبغى على قومه بأنواع من البغي ، ومن ذلك كفره بموسى واستخفافه به[٢] والبغي هو شدة الطلب لما ليس بحق[٣] ، أو طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى تجاوزه[٤] ، وكان بغي قارون بظلمه لقومه وتكبره وتبذخه عليهم بكثرة ماله وولده ، وتخايله وتبختره بكل ما يتصرف به الغني إذا تجرد عن قيم دينه وكفر بها[٥] . والتعبير بـ (فبغى عليهم) جاء بطريقة (الاستثناء البلاغي)[٦] ، المناسب لمضمون الخبر والتعجيب منه ، وما تحيطه من الغرابة . وفيه تسلية للنبي لما يعانيه من محاربة أقرب أقربائه لدعوته ، وهو حريص على هدايتهم ، بما هو أغرب وهو كفر قارون مع صلة قرابته بموسى ، وبعدما كان من المؤمنين برسالته . فكان الإخبار عن قارون بأنه من قوم موسى تمهيداً للكناية بهذا الخبر عن إرادة التنظير بما عرض لرسول الله من بغي قرابته من المشركين عليه[٧] .

ولما أخبر عن تلك الحال التي يلفها الاستغراب ، عطف عليه ما يوضح السبب في هذا البغي ، بقوله تعالى : ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾

(١) = : التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس : ١٧٦/٢٠ .

(٢) = : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ابن عطية الاندلسي ، دار ابن حزم ، بيروت – لبنان ، ط (١) ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م : ١٤٤٩ .

(٣) = : الفروق اللغوية ، ابو هلال العسكري ، تحقيق حسام الدين القدسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان : ١٩٢ .

(٤) = : المفردات في غريب القرآن ، الراغب الاصفهاني ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة – مصر : ٦٥ .

(٥) = : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ، محمود بن عمر الزمخشري ، انتشارات آفتاب – تهران : ١٩٠/٣ .

(٦) (وهو ذكر أمر ثم تخصيصه بغير صيغ الاستثناء المعروفة) ، التوقيف على مهمات التعاريف ، محمد عبد الرؤوف المناوي ، تحقيق محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر – دمشق ، ط (١) ، ١٤١٠هـ: ٥٥ ، نقلاً عن كتاب دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني .

(٧) = : التحرير والتنوير : ١٧٦/٢٠ .

بكل ما يوحيه التعبير القرآني من معاني المبالغة ، والكثرة المغرية في الإيتاء بإسناده إلى ضمير العظمة في (آتيناه) ، والإبهام بـ (ما) الدالة على الشيء غير المحدد ، وبصيغة منتهى الجموع في (مفاتحه) ، وبأنها لكثرتها ﴿لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ أي : تميل بها العصبة إذا حملتها من ثقلها[١] . وأصل النوء (هو النهوض بثقل ومشقة)[٢] . وقد تكون (الباء) للملابسة وذلك بأنْ تثقل مع العصبة الذين يحملونها ، فهي لشدة ثقلها تثقل مع أنّ حملتها عصبة أولو قوة ، مبالغة في كثرتها . والمبالغة الحاصلة بهذا التعبير (كناية بالإشارة) عن كثرة ما آتاه الله تعالى من المال ، لكثرة الوسائط مع وضوحها ، فإن المفاتح كناية عن كثرة الخزائن ، وكثرة الخزائن كناية عن كثرة المال[٣] .

وهذه الكثرة في المال كانت هي الداعية إلى بغيه على قومه عندما قدموا له النصح والإرشاد لكف تكبره ، في قوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ ، أي : (فأظهر التفاخر والفرح بما أوتي من الكنوز إذ قال له قومه لا تفرح)[٤] ، والفرح هو إفراط السرور ما يصل بصاحبه إلى حد البطر والأشر[٥] . وهو ما يكون خالياً من النفع ، ومجلبة للفساد ، وكأنه يحدث في النفس من غير سبب يوجبه[٦] .

وعبر عن إرادة النصح والإرشاد في حسن التصرف عن طريق الكناية بأسلوب الإنشاء الطلبي بصيغة النهي (لا تفرح) ، للإلفات إلى أن الفرح أخطر دواعي الانحراف عن حسن التصرف . وذلك لأن النهي عن الشيء إنذار عن مضرته ، وإنّ فرحه ناتج عن البطر والازدهاء لتعلقه بمتاع الدنيا ، وبما يصرفه عن صالح الأعمال ، وحذف

---

(١) = : تفسير غريب القرآن ، ابن قتيبة ، تحقيق أحمد صقر ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م : ٣٣٤ .

(٢) الفروق اللغوية : ١٠٧ .

(٣) = : التحرير والتنوير : ١٧٧/٢٠ .

(٤) البحر المحيط ، ابو حيان الاندلسي ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط (١) ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م : ١٢٧/٧ .

(٥) = : تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة ، المكتبة العلمية – المدينة المنورة ، ط (٣) ، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م : ٤٦١ .

(٦) = : الفروق اللغوية : ٢١٩–٢٢٠ .

متعلق (لا تفرح) لتعميم النهي عن كل ما يؤدي إلى تلك النتيجة من البطر والأشر والزهو وغيرها من المعاصي المفضية إلى تعالي النفس وبغيها وتمردها عن سبيل الهداية ، وبيان أنّ تلك الصفة صارت سجية في الموصوف ، وجملة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ استئناف بياني لتعليل النهي ، وصيغة (فَعِل) تفيد المبالغة في شدة الفرح ، التي تقتضي شدة الإقبال على المفروح به ، والإعراض عن غيره ، فصار النهي عن شدة الفرح رمزاً لشدة الإعراض عنه[١] . فضلاً عما حققه هذا النهي من الانسجام الصوتي داخل النص بجناس الاشتقاق بين (لا تفرح) وبين (الفرحين)[٢] ، وكذلك بالتمهيد لتمكين فاصلة (النون) وتحقيق توافق الفواصل خارجه ، وفي ذلك غاية البلاغة ومنتهى الإعجاز في دقة انتقاء التعبير القرآني لألفاظه ومفرداته ، ودقة توظيفها في التركيب ، الذي تواشجت فيه كل هذه الفنون البلاغية صادحة بالمعنى على أتم وجه وأكمله .

ولما كان النهي عن الفرح بكثرة المال يستوجب الزهد فيه والتقرب به إلى الله تعالى ، أعقبه الأمر بما هو متمخض عن ذلك الزهد على سبيل (الاحتباك) حثاً له على الامتثال بإنزال المتمنى منزلة المتحقق ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴾ ، وتعليق فعل الابتغاء بحرف الظرفية دون (الباء) للدلالة على التغلغل في ابتغاء الدار الآخرة ، بإنفاقه فيما يرضي الله بحيث يكون ابتغاؤك ذلك مظروفاً له ، فيكون كالروح ، والمؤتى كالجسد ليكون حياً بذلك الابتغاء ، فلا يكون منه شيء بغير حياة ، ليذكرك بأن الدنيا دار ارتحال ، وكل ما فيها آيلُ إلى الزوال ، فاقتضى ذلك الزهد بها على اية حال من الأحوال[٣] .

وجملة : ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾ إلفات إلى ضرورة الأخذ بكل أسباب إدامة الحياة من المباحات : فالتعبير بـ (لا تنس) كناية عن الترك المفرط ، والجملة

---

(١) = : التحرير والتنوير : ١٧٨/٢٠ .

(٢) = : صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، دار احياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط (١) ، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م : ٣٨٨/٢ .

(٣) = : نظم الدرر في تناسق الآيات والسور ، ابراهيم بن عمر البقاعي ، مكتبة ابن تيمية – القاهرة ، ط (١) ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م : ٣٥٢/١٤ .

اعتراضية بين جملتي (وابتغِ) و(وأحسن) على سبيل (الاحتراس) في الموعظة خشية نفور الموعوظ ؛ لأن الأمر بالابتغاء والمبالغة فيه يوهم أن ينفق كل ماله قرباتٍ ، فأفاد الاحتراس أنّ له حق استعمال بعضه فيما يكفه عن الاحتياج مما أحلّ الله تعالى له[١] .

وقوله تعالى : ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ بيان للابتغاء على سبيل (التفصيل بعد الإجمال) جاء بأسلوب الأمر المجازي للإرشاد ، فضلاً عن التمهيد لبناء الاحتجاج بما هو علة لذلك الأمر ، بأسلوب (التشبيه المرسل المجمل) في (كما أحسن الله إليك) ، أي : أحسن كإحسان الله إليك . وحذف متعلق الإحسان لإفادة العموم لما يحسن إليه ، وإرشادٌ إلى تعدد سبل الإحسان لمن أراد . وجملة ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾احتراس آخر (بالإطناب) للتحذير من خلط الإحسان بالفساد ، وإلا فالأمر بشيء يقتضي النهي عن ضده ، فضلاً عن إفادة التنصيص على تجنب الإفراط المؤدي إلى الإفساد ، وما قد يغيب عن الذهن من أنّ الإساءة إلى شيء مع الإحسان إلى أشياء لا يعد إحساناً[٢] . وبذلك يتضح دور الاحتراس من خلال رفع التعارض الحاصل في المعنى والمتمثل بنهي ابتغاء الفساد والموازنة مع فعل الإحسان[٣] .

وجملة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ استئناف بياني لتقرير معنى النهي عن ابتغاء الفساد ، جاء على سبيل (الإطناب بالتذييل) ، مع تحقيق جناس الاشتقاق بين (الفساد) و(المفسدين)، وتمكين الفاصلة بعد التمهيد لها بهذين المتجانسين .

وهذه الآية تعد ركيزة من ركائز الإسلام ، وقاعدة إيمانية وفقهية بترسيخ مبدأ الاعتدال لضمان سعادة الإنسان في الدارَين ، وبجعل الدنيا سبيلاً للفوز بحسن العاقبة ، وقد عرضها النص المعجز بهذا النظم البديع بالمقابلة بين أمرين ونهيين للدلالة على تحري كمال التوسط في الأمور ، وبالربط بين المتضادات على أحسن وجه ، وأدق سبك ، قال فيها الباقلاني : (وهي خمس كلمات متباعدة في المواقع ، نائية المطارح ، قد

---

(١) = : التحرير والتنوير : ١٧٩/٢٠ .

(٢) = : التحرير والتنوير : ١٧٩/٢٠ .

(٣) = : الإطناب في القرآن الكريم ، أنماطه ودلالاته ، وفاء فيصل اسكندر محمد ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب – جامعة الموصل ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣ م : ١٦٠ .

جعلها النظم البديع أشدَّ تآلفاً من الشيء المؤتلف في الأصل ، وأحسن توافقاً من المتطابق في أول الوضع)[١] . وهذا التآلف والتوافق هو ما بين الجمل من إرداف بين أسلوبي الأمر والنهي مع أنّ كل واحدة منهما عكس لسابقتها ، إلا أنها مكملة لها وجزء منها ، فهذا النظم الذي جمع بين متضادين ثم عطف عليه متضادين آخرين تتجلى فيه دقة السبك وقوة الإحكام ، وختم ذلك كله بحسن التذييل بالجملة الفاصلة الجامعة لكل تلك المعاني ، والتي تخص على الكل ؛ لأن عدم ابتغاء الآخرة فيما آتاه الله فساد ، ونسيان حظه من الدنيا فساد ، وعدم الإحسان فساد (والله لا يحب المفسدين) ، مع ما تجسده واو العطف من روابط بين الجمل ، وتعقد معها أسباباً لذلك الوصل ، وذلك التآلف والسبك[٢] .

ولما كان إرشادهم له بأساليب الإنشاء ألطلبي المتتابعة يستدعي جواباً ، مع تحري الجواب بالقبول والاعتراف بمنة الله تعالى عليه ، والإخلاص في التصرف بعرض الدنيا ، لشدة إخلاصهم له بالنصح ميسرين له سبيل الإذعان والإيمان ، أجابهم على سبيل الفصل بأسلوب المحاورة ، قاصداً إفحامهم وقطع موعظتهم ، ومؤذناً بالرفض ، في قوله تعالى : ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص/٧٨] ، واستئناف الجواب بـ (إنما) يؤكد بغيه وكفره للمنعم ، بقصر فضل الإنعام على ما أوتي من علم وليس لأحد عليه فضل ، ولذلك جيء بالفعل (أوتيته) مبنياً للمجهول ليؤدي دوراً بيانياً لا غنى عنه في هذا السياق ، وهو الإحجام عن الاعتراف بفضل لفاعل معين . وأكد ذلك بتعلق الفعل بحرف الاستعلاء المجازي (على) لإفادة تحقق العلم لديه وتمكنه منه[٣] أي : على استحقاق لما فِيّ من العلم الذي فُضّلت به ، وذلك أنه كان أعلم بني إسرائيل بالتوراة . وقيل : كان عالماً بالكيمياء ، فيكون الوصف بـ (عندي) الظرفية تأكيداً لتمكنه من العلم

(١) إعجاز القرآن ، ابو بكر الباقلاني ، تحقيق أحمد صقر ، دار المعارف بمصر ، ط (٣) ، ١٩٧١م: ١٩٤.

(٢) = : الإعجاز البلاغي ، محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة – مصر ، ط (١) ، ١٩٨٤م : ٢١٢-٢١٣ .

(٣) = : التحرير والتنوير : ٢٠-١٨١ .

وشهرته به[١] . ولاسيما وقوع شبه الجملة (على علم) موقع الحال ، لتصور مدى تكبر قارون ونسبة تحصيل المال لنفسه[٢] .

وهذا الجواب العاري من الاعتراف بالفضل لله تعالى على ما رزقه من الكنوز ، على جهة التكبر والتعالي اقتضى أن يكون الجواب صادراً من الله لتقريعه وتوبيخه على هذا الجحود والإنكار ، فجاء بالجملة الاعتراضية للتعنيف والتشنيع عليه وللإشارة إلى بيان الموجب ، فقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ﴾ فكان ينبغي أن لا يغتر بماله لما تلقاه من موسى من العلم والهداية ، وبحفظه للتوراة ، وجاء الاعتراض بأسلوب (الاستفهام التقريري التوبيخي) من عدم جريه على موجب علمه بأن الله تعالى أهلك أمماً من قبله على بطرهم النعمة وإعجابهم بقوتهم ، ومن نسيانه حتى صار كأنه لم يعلمه وتعجيباً من فوات مراعاة ذلك منه مع سعة علمه بغيره[٣] وفي إدخال الحرف (من) في التعبير بـ (من قبله) زيادة توبيخ له وتجهيل بإلفاته إلى قرب العهد بمصير أخيه فرعون ، الذي أعلن حربه على الله تعالى ، وتنبيهه على أنه كان أولى المعتبرين بمصير المتكبرين[٤] .

وجملة ﴿ وَلَا يُسْئَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ جاءت (تذييلاً بليغاً) على سبيل الاستئناف ، لتأكيد المعنى المتقدم وتحقيقه ، ولإخراجه مخرج (المثل السائر) لتحقق ما قبله[٥] . والإخبار بنفي السؤال عن الذنوب كناية عن انتفاء الحاجة إليه ، وهذا بدوره كناية عن علم الله تعالى بذنوبهم بما يستوجب عقابهم على إجرامهم ، فهي (كناية

---

(١) = : الكشاف : ١٩١/٣ .

(٢) = : التبيان في إعراب القرآن ، ابو البقاء العكبري ، تحقيق محمد علي البجاوي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م : ١٠٢٦/٢ ، الحال في الأسلوب القرآني ، عبد الستار عبد اللطيف أحمد سعيد ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلام – طرابلس ، ط (١) ، ١٣٩٣هـ – ١٩٨٤م : ٢٩٧ .

(٣) = : إرشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم ، ابو السعود العمادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط (١) ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م : ١٣٦/٥ ، التحرير والتنوير : ١٨٢/٢٠ .

(٤) = : نظم الدرر : ٣٥٥/١٤ .

(٥) = : من أسرار الجمل الإستئنافية ، أيمن عبد الرزاق الشوا ، دار الغوثاني للدراسات القرآنية – دمشق ، ط (١) ، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م : ١٣٧ .

بالتلويح) بتحقق العذاب وتحتمه عليهم؛ لأن الأسئلة المنتفية هي أسئلة الاستفهام على جهة الحاجة إلى علم ذلك من المسؤولين ، فذلك لم يقع أصلاً ؛ لأن العلم بهم محيط ، ولآت حين مناص ، حتى أن سؤال التوبيخ والتقريع غير معتد به ، فضلاً عما يطويه الكلام ممن تهديد للمجرمين ، وتحذير لهم من أن يؤخذوا بغتة وهم لا يشعرون[1] . وفي تقديم الجار والمجرور على نائب الفاعل (عن ذنوبهم المجرمون) تقرير للمعنى وتأكيد عليه ، فضلاً عن تحقيق انسجام الفاصلة القرآنية مع عموم النص .

* * *

المبحث الثاني
خروجه بزينته وافتتان قومه به

قال تعالى : ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [القصص/٧٩ –٨٠] .

يصور هذا المشهد خروج قارون متباهياً بزينته ، مغتراً بماله ، يلفه الكِبْر والزهو ، وانقسام قومه بين مفتتنٍ بهذا الموقف ، ومتمنٍّ مثل ما أوتي من المال والجاه ، وبين ناءٍ بنفسه عن زخرف الدنيا وزينتها ، معتز بإيمانه ، مذكّرٍ بحقارة ذلك كله وضآلته أمام فضل الله تعالى على عبادة المؤمنين .

فقوله تعالى : ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ﴾ تصوير لتمادي قارون في تكبره على قومه ، وانغماسه في ملذات الدنيا ، إذ إن فاء التعقيب تدل على عدم اكتراثه بما سمع من النصح ، وعدم الاتعاظ والتفكر والتدبر ولو لزمن قصير يجعله يتريث عن هذا الخروج المتبجح ، المليء صلفاً وازدهاءً . وتعدية الخروج بحرف الجر (على) يتضمن معنى

(١) = : المحرر الوجيز : ١٤٥١ ؛ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين اللآلوسي ، المطبعة الكبرى الاميرية ببولاق مصر المحمية ، ط (١) ، ١٣٠١هـ : ٣٨٤/٦ .

النزول ، إشارةً إلى أنه خروج متعالٍ مترفع[١] . ويعد التضمين بلاغةً ؛ لأن الكلمة التي يدخلها لا تخرج عن معناها الرئيس الذي وضعت له ، وإنما تبقى دالةً عليه ولكنها تُضمّن معنى آخر أفادته التعدية[٢] . وحرف الظرفية في الحال شبه الجملة (في زينته) يجسد مدى انغماسه بلذة الكبر والزهو والتعالي ، ويرسم هيئة خروجه بكل ما عنده من لباس وحلي وكنوز . فالحرف القرآني معلم بارز من معالم الإعجاز البلاغي في القران الكريم ، وما يشذ فيه حرف واحد عن قاعدة نظمه المعجز[٣] .

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ استئناف لحكاية موقف قومه من هذا الخروج العجيب ، يدل على سرعة اغترار ضعاف الإيمان والنفوس ، وانبهارهم بما أوتي قارون ، فأنزلهم النظم المعجز منزل بدل الاشتمال من حال قارون ، لما اشتملت عليه الزينة من أنها مما يتمناه الراغبون في الدنيا ، فجمعت بذلك أحوال الرفاهية على أتم وجه وأوجزه ؛ لأن الذين يريدون الحياة الدنيا لهم ميول ورغبات متفاوتة ، فكل يتمنى أمنيةً مما تلبس به قارون من الزينة ، ولو عطفت الجملة لفاتت تلك الخصوصية البليغة[٤] .

وتعريف هؤلاء القوم بالاسم الموصول ﴿ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ للتنصيص على ما في صلة الموصول من العلة لتمنيهم مثل هذه الأمنية . وعبر عن شدة انبهارهم واستعظامهم ما أوتي قارون من زخرف الدنيا بأداة التمني المسبوقة بأداة التنبيه في (ياليت) التي تدل على استحالة المتمنى ، وإن كان غير مستحيل ، ولكن لكثرة ما أوتي مما لا يتوقع صار بمنزلة المستحيل ، ومما زاد ذلك تعظيماً في نفوسهم تأكيد الخبر ﴿ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ بإنزال السامع منزلة المنكر ، كناية عن تعجبهم من إنكاره

---

(١) = : التحرير والتنوير : ١٨٢/٢٠-١٨٣ .

(٢) = : رسالة الرماني (النكت في إعجاز القرآن) ، تحليل ونقد ، فضل حسن عباس ، مجلة دراسات (الشريعة والقانون) ، المجلد (١٦) العدد (١٠) ١٩٨٩م : ١٤٢ .

(٣) = : تاريخ آداب العرب ، مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتاب العرابي ، بيروت – لبنان ، ط (٦) ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م : ٢٣٤/٢ .

(٤) = : التحرير والتنوير : ١٨٣/٢٠ .

لذلك الحظ العظيم[١] ، فضلاً عن المبالغة والتعظيم التي أفادها تنكير (حظ) ، و(الإطناب بالإيغال) في وصفه بال (عظيم)[٢] .

أما الإخبار عن موقف المؤمنين من ذلك الخروج المتعالي ، فقد جاء خلاف الإخبار عن موقف المغترين ، إذ جاء على سبيل العطف ، في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ٨٠ ﴾ [القصص/٨٠] خروجاً على مقتضى الظاهر في أسلوب المحاورات ، وتتجلى بلاغة الوصل بـ (واو) العطف في إلفات الانتباه إلى ما بين الفريقين من التفاوت الرتبي ، بدلالتها على المغايرة ، تمييزاً للذين أوتوا العلم ورفعاً لشأنهم حيال أولئك الذين تولت نفوسهم قبل الحياة الدنيا . والعدول عن تعريفهم بـ (آل) التعريف إلى الاسم الموصول لما في صلته من التنصيص على أنّ العلم الذي يستحق الاعتزاز به هو المفضي إلى الإيمان بالله والاعتراف بفضله وشكره ، لا العلم المفضي إلى كفران النعمة والخروج عن دائرة الإيمان . وفي بناء الفعل (أوتوا) للمجهول تعظيم للرغبة في حصول كل علم نافع[٣] . وكذلك التركيز على الحدث دون محدثة ، وتكريم أولي العلم ، فضلاً عن تحقيق المقابلة بين ﴿ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ ﴾ وبين ﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ﴾ حثاً على المقارنة بين الإيتاءين ، وإشارةً إلى ما كان ينبغي أن يتمنى المتمنون مما أوتي هؤلاء ، لا ما أوتي قارون من زخارف الدنيا وأموالها ، والافتتان بها ، بكل ما تثيره تلك المقابلة اللطيفة من الأثر النفسي بإثارتها للضدية بين الحالين ، والغوص في معاني الطرفين .

وفي التعبير بـ (ويلكم) تعجب مشوب بالزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرتضى ، والأصل في التعبير هو الدعاء بالهلاك ، وليس المراد هنا أن يدعوا عليهم بالويل والثبور ؛ لأنّ المناسب لمقام الموعظة لينُ الخطاب ليكون أدعى للاتعاظ ، ولكنهم يتعجبون من تعلق نفوس أولئك بزينة الحياة الدنيا ، واغتباطهم بحال قارون دون الاهتمام

---

(١) = : التحرير والتنوير : ١٨٣/٢٠ .

(٢) = : الكشاف : ١٩٢/٣ ، الإطناب في القرآن الكريم : ٣٠٣ .

(٣) = : نظم الدرر : ٣٥٧/١٤ .

بثواب الله تعالى ، الذي يستطيعون تحصيله بالإقبال على العلم والعمل بالدين[١] . وفي إضافة (ويل) إلى ضمير جماعة المخاطبين دون أن يقال : ويل لكم ، إشارة إلى أن حال هؤلاء أحق ما يتعجب منه ، وأولى بهذا الزجر والردع ، وكأنه مقصور عليهم ، وهذا ما توحيه الإضافة .

ومن الملاحظ البيانية في هذا النص أن التعبير القرآني آثر أسلوب الخطاب المباشر على لسان المؤمنين في توجيه الزجر للذين يريدون الحياة الدنيا في ﴿ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ ، لأن الأسلوب الخطابي هو خير ما يتحقق به البيان القرآني ولاسيما إذا كان الغرض من التعبير يتحقق بإثارة المشاعر ، وتهيج العواطف[٢] .

وتتجلى بلاغة النظم القرآني المعجز في ترسيخ القيم الإيمانية على لسان الذين أوتوا العلم ، وغرسها في نفوس الذين آثروا الحياة الدنيا واغتروا بزخرفها ، وهذا ما حققه تقديم المسند إليه في ﴿ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ ﴾ لإفادة تمكين الخبر وترسيخه في أذهان السامعين ونفوسهم ؛ لأن الابتداء بما يدل على الثواب المضاف إلى أوسع الكرماء كرماً مما تستشرف إليه النفس وتتطلع . وفي العدول عن الإضمار إلى الموصولية في قوله تعالى ﴿ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ دون : خير لكم ، إشارة إلى أن ثواب الله إنما يناله المؤمنون الذين يعملون الصالحات ، وأنه على حسب صحة الإيمان ، ووفرة العمل ، مع ما في الاسم الموصول من معنى الشمول لمن كان منهم كذلك ، ولغيرهم ممن لم يحضر المقام ويسمع ذلك الكلام[٣] فحقق النظم بهذا العدول التنصيص على ضرورة الإيمان وإخلاص العمل ، مع نقل الخطاب من الخصوص إلى العموم .

وجملة ﴿ وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ عطف على ما تقدم من الزجر والردع والتوجيه ، جاءت على سبيل (الخبر الإنشائي) لإرادة الأمر بالصبر للذين فتنتهم حال

(١) = : الكشاف : ١٩٢/٣ ، التحرير والتنوير : ١٨٤/٢٠ .

(٢) = : البيان القصصي في القرآن الكريم ، إبراهيم عوضين ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ط (١) ، ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م : ١٠ .

(٣) = : التحرير والتنوير : ١٨٤/٢٠ .

قارون ، بأن يصبروا على حرمانهم مما هو فيه . ويجوز أن تكون الجملة اعتراضية من جانب الله تعالى لتعليم عباده فضيلة الصبر[١] . وللإدلال على أن هذه السمة من أبرز معالم الإيمان ، وفيها يكمن جماع الخير في الدنيا بعدم الانشغال بما في أيدي الناس لما يورثه الحسد من البغض والشحناء والحقد ، وفي الآخرة لما يترتب عليه من الثواب الجزيل ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر/١٠] جزاءاً لهم على الصبر والثبات والتجلد أمام عظائم الفتن والنوائب . لذلك سيق الكلام بأسلوب (القصر الحقيقي) بالنفي والاستثناء ، والضمير في (يلقاها) عائد إلى الكلمة التي تكلم بها أولوا العلم ، أو إلى الخصلة وهي ثواب الله، أو السيرة القويمة وهي سيرة الإيمان والعمل الصالح المؤدي إلى الجنة[٢] .

المبحث الثالث
إهلاكه بالخسف

قال تعالى : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [القصص/٨١-٨٢] .

وهو المشهد الحاسم الذي يصور نهاية قارون الوخيمة ، نهاية التكبر على الخالق ، والتمادي والاستعلاء على الخلق ، وعدم الاعتبار بمصير فرعون على قرب عهده به ، فكانت النهاية المحتومة لذلك كله جزاءً وفاقاً على الظلم والتكبر والاستبداد .

(١) = : التحرير والتنوير : ٢٠/١٨٤-١٨٥ .
(٢) = : الكشاف : ٣/١٩٢ .

ولما أعرض قارون عن نصيحة المؤمنين له وتحذيرهم بالزجر والردع جاء الإخبار عن إهلاكه على سبيل العطف بفاء التعقيب ، لما يحققه من عنصر المفاجأة بالعقوبة وما يترتب عليها من شدة الإيلام وأثره على النفس ، فقال تعالى : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾ ، يقال : خسفت الأرض إذا غاصت وساخت بما عليها[1] . وفي إسناد الخسف إلى ضمير العظمة زيادة في التمكين ، وتهويل للخسف وتعظيم له ، فهو خسف عجيب خارق للعادة على سبيل المعجزة . والباء في (به) للمصاحبة ، أي : خسفنا الأرض مصاحبة له ولداره التي تمناها الذين يريدون الحياة الدنيا وآثروها على الدار الآخرة إظهاراً للعبرة[2] . وفي تقديم الضمير العائد الى قارون في (به) على الخسف بداره إلفات الى أن البغي سبب لخراب البيوت . و﴿ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ إخبار عن نفي الناصر من دون الله وانقطاع أسبابه على جهة الاستحالة ، وذلك لما في نفي الكون من المبالغة في النفي الداخل عليه بتعديد جهتي النفي ، عموماً باعتبار الكون ، وخصوصاً باعتباره في هذه الآية ، فكأنه نفي مرتين[3] . فضلاً عما في دخول (من) على النكرة من التنصيص على العموم ودلالتها على الاستغراق ، وهي غالباً ما ترد في سياق النفي في التعبير القرآني[4] ، وفي هذا التأكيد على النفي رفع لما استقر في الأذهان من أن الأكابر منصورون[5] . وأكد ذلك بـ (حسن التذييل) في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾ على سبيل الإطناب في تقرير هذه الحقيقة ، لتأكيد أنه ليس له ناصر من الهلاك ولا يستطيع نصر نفسه ، وأن الخسران صفة ملازمة له في الدنيا والآخرة .

---

(١) = : أساس البلاغة ، محمود بن عمر الزمخشري ، دار صادر – بيروت ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م : ١٦٢، مادة (خسف) .

(٢) = : التحرير والتنوير : ١٨٥/٢٠ .

(٣) = : الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال ، أحمد بن المنير الاسكندري (على هامش كشاف الزمخشري) : ١٨٣/٤ .

(٤) = : نحو المعاني ، أحمد عبد الستار الجواري ، مطبعة المجمع العلمي العراقي – بغداد ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م : ١٢٨ .

(٥) = : نظم الدرر : ٣٥٩/١٤ .

قال تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [القصص/٨٢] ، فلما خسف به فاستبصر الجهال ، جاء إيثار (أصبح) لمعنى : صار مناسباً لحال قصيري النظر الذين لا يرون إلاّ المحسوسات من حولهم ، لضعف إيمانهم وسرعة اغترارهم ، وكأنهم يمسون على حال ويصبحون على غيرها ، فضلاً عما حققه الإيثار من محسن (الطباق) بين (أصبح) و(الأمس) وما يثيره في النفس من سرعة تقلبهم وعدم اتزان عقولهم وتفكيرهم[١] . ويمكن حمله على ظاهره للدلالة على أنّ الخسف بقارون وبداره وقع ليلاً فكان ذلك أفظع في التهويل ؛ لأنّ الليل هو وقت السكون والراحة والاطمئنان والتعبير بـ (الأمس) كناية عن الزمن القريب ، أو أن يراد به ما قبل يوم الخسف وهو يوم التمني ، ويدل عليه العطف بالفاء التي تقتضي التعقيب في قوله تعالى : (فخسفنا) فيكون فيه اعتقاب العذاب خروجه في زينته ، وفي ذلك تعجيل للعذاب[٢] . فالتعبير القرآني يُسخّر كل ما تختزنه اللغة ، ويستنفد أقصى ما تمتلكه من فنية التعبير ، ودقة التصوير ، وقوة التأثير ، لتحقيق الإعجاز ، سواء أكان ذلك بطريق الحقيقة أم المجاز .

وقوله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ﴾ أي : يقولون دائبين في القول بدلالة المضارع على التجدد والاستمرار . و(ويكأنّ) مركبة من (وي) وهي اسم فعل للتعجب والتندم و(كأنّ) الدالة على التشبيه ، أي : ما أشبه الحال بأن الكافرين لا ينالون الفلاح لما شاهدوه من مصير قارون وهلاكه ، متعجبين نادمين ومنكرين على أنفسهم ما كانوا يتمنونه بالأمس[٣] . مؤمنين بأن الله تعالى هو الرزاق ذو القوة المتين ، يبسط على من يشاء ويضيق على من يشاء بحكمته وتدبيره ، وما علينا إلا التسليم والرضا ، وهو ما حققه المحسن البديعي بـ (الطباق) بين (يبسط) و(يقدر) بكل ما يوحيه من معاني الإحاطة والقدرة والمشيئة ، وأن لا فضل لأحد على غيره بهذا الاعتبار إلا بحسن التصرف والاعتراف بفضل الرازق ، لما يعقب ذلك من الفناء ، فضلاً عما في

---

(١) = : م.ن : ١٤/٣٥٩-٣٦٠ .

(٢) = : البحر المحيط : ٧/١٣٠ ، صفوة التفاسير : ٢/٣٨٨ .

(٣) = : الكشاف : ٣/١٩٢ ، نظم الدرر : ١٤/٣٦١ .

التعبير بـ (ويقدر) من الإيجاز بالحذف ، أي : ويقدر لمن يشاء و﴿ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ برحمته وعصمنا من مثل ما كان عليه قارون من البغي والبطر ، ولم يؤاخذنا بما وقع علينا من ذلك التمني ﴿ لَخَسَفَ بِنَا ﴾ مثلما خسف به ﴿ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ ، وتكرير هذه العبارة لإفادة التعجيب ، والإتيان بضمير الشأن المبهم في اسم (كأن) لتعظيم الأمر وتهويله ، أي : فتبين أنّ ذلك الأمر العظيم الشأن كان سببه بغي قارون وكفره برسول الله[1] . وفي قراءة أخرى (خسف)[2] للمجهول ، للإشارة إلى عظم ما شاهدوه من الخسف بقارون ، وشدة وقعه في نفوسهم ، وما فيه من الدلائل على أنه خسف صادر من قوي مقتدر بكل ما يصوره ضمير العظمة في (فخسفنا) من معاني التمكن والاقتدار ، وهذا ما أوحى به البناء من إضمار الفاعل والتركيز على الحدث .

(١) = : التحرير والتنوير : ١٨٥/٢٠ .

(٢) وهي قراءة أبي بكر عن عاصم وبقية السبعة ، = : كتاب السبعة في القراءات ، ابن مجاهد ، تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف ، ط (٢) : ٤٩٥ .

خاتمة :

بعد هذه الجولة البلاغية في رحاب النص القرآني القصصي تجلى واضحاً أن الإعجاز القرآني ذاتي لغوي تعلق بالحرف والكلمة والجملة والنص في الاستعمال القرآني ، سواءً أطلق عليه الإعجاز البلاغي أم البياني أم اللغوي ، الإعجاز الذي يتسع ليشمل كل أسباب التأثير وعناصر الإبداع من داخل النص وأثرها في النفس . وإن القصة القرآنية شكلت الفضاء الرحب ، والميدان الخصب للوقوف على الإعجاز البلاغي القرآني ؛ لما تمثله من صور متكاملة للنظم ، تكشف عن علو بلاغتها وقدرتها على تصريف الأحداث والمشاهد حسب مقتضيات الأحوال والمقامات . فالقصة القرآنية أسلوب دعوي يحمل الرسالة السماوية الى الإنسانية ، ويعرض تجارب الإنسان الواقعية بالطرائق الفنية التي تستمد قدرتها من بلاغة القرآن المعجزة ، وفق منهج قصصي يتوافق مع تحقيق أغراضه بما ابتكره من طرائق فنية في توزيع عناصر القصة وتلوين أساليب العرض مما يفتح باب التأمل للوقوف على سر عظمة القرآن الكريم وبلاغته المعجزة .

The Rhetorical Inimitability in the Qurānic Story: The story of Karun is an example

Asst. Prof. Dr. Abd AlStaar Fadeel

Abstract

The present study entitled: "*The Rhetorical Inimitability in the Qurānic Story: The story of Karun is an example* "deals with rhetorics of the Qurānic story. It is a new work for agreement between rhetorical art and narrative art in the Qur'an text to shed lights on the role of the Qur'an rhetoric through: events, characters and dialogue. The research takes up an analytic method about rhetorical works through the Qur'an narrative text, showing the elegizing of the rhetorical creativity.

So the research is divided objectively, the episodes of the short story and its scenes have been taken as titles for the three sections: (Qaroon's Tyranny on his people and his advice to them), (Appearing out to them and supported by his people) and (Ruined by fawn).